كلمة الترحيب التي ألقاها البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في افتتاح المؤتمر : "الإصلاح البروتستانتيّ والشرق الأوسط"، من ١٨ إلى ٢٢ آذار (مارس) ٢٠١٥، في المدرّج "ب" في حرم العلوم الطبيّة–جامعة القدّيس يوسف، يوم الجمعة الواقع فيه ١٨ آذار (مارس) ٢٠١٥

١. باسم جامعة القدّيس يوسف وكليّة العلوم الدينيّة فيها، اسمحوا لي أن أرحّب بكم في هذا المؤتمر حول "الإصلاح البروتستانتيّ والشرق الأوسط" الذي قام بتنظيمه خمسة مساهمين، بما فيهم كليّة العلوم الدينيّة، وذلك في إطار الاحتفال بمرور ٥٠٠ عام ١٥١٧–٢٠١٧، وفقًا لتقليدٍ يعود إلى العام ١٥١٧، ويكمن في أنّ الراهب الأوغسطينيّ مارتن لوثر علّق أطروحة على باب كنيسة فيتنبرغ Wittemberg في ٣١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٥١٧ في انتقاد الكنيسة الكاثوليكيّة شرحها في ٩٥ بند. هذا الحدث الذي غالبًا ما يُحفَظ كنقطة انطلاق الإصلاح البروتستانتيّ، هذا أقلّ ما يُقال، هو نفحة الإصلاح الذي ما زالت نتائجه ملموسة حتّى أيّامنا هذه. أودّ هنا أن أشكر الثقة التي أولاها لنا المسؤولون في كليّة اللاهوت للشرق الأدنى NEST ، والكنيسة الوطنيّة الإنجيليّة وأكاديميّة بيروت وبرلين، من أجل أن نوحّد جهودنا ونتذكّر معًا هذا التاريخ المؤسِّس للإصلاح البروتستانتيّ، ساعين بذلك لاستخلاص الدروس المثمرة لإحياء هذه الذكرى من أجل خير كنائسنا، ومن أجل تفكيرنا وخطابنا اللاهوتيّ في الشرق الأدنى والشرق الأوسط المسيحيّ ولما فيه خير الشرق الأوسط العربيّ والمسلم الذي أصبح ضحيّة المجازر في وقتٍ غاب فيه الوعي الذاتي لدى سكّانه.

٢. لم يكن أحد ليتصوّر، منذ قرن وأكثر، أنّ اليسوعيّين في بيروت الذين يُطلَق عليهم اسم جنود البابا، يرحّبون في حرم جامعتهم بمثل هذا الحدث بما أنّ أحد الأسباب التي أدّت إلى تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت كان لاحتواء آثار وجود بعثة من البروتستانت البيبليّين الأنجلوسكسونيّين البروتستانتيين في الصفوف المسيحيّة والكاثوليكيّة في المنطقة. أعتقد أنّ هناك تاريخًا هامًّا غيّر معالم هذه الثقافة : في الواقع، عند اندلاع الحرب العالميّة الأولى، في العام ١٩١٤، أصبح من المستحيل على اليسوعيّين الفرنسيّين والأوروبيّين من الدول الحليفة البقاء في بيروت، وكانت قد

صودرت الجامعة ومبانيها من قِبَل العثمانيّين. لكي لا يغادروا فورًا البلاد إلى أوروبا، لجأ اليسوعيّون المعنيّون إلى السيّد "بلس" في الكليّة البروتستانتيّة السوريّة، وهي ستكون لاحقًا الجامعة الأميركيّة في بيروت في العام ١٩٢٠. وبعد ذلك بعامين، في العام ١٩١٦، مع دخول الأميركيّين غمار الحرب، اضطّر اليسوعيّون والأمريكيّون إلى المغادرة جميعًا إلى أوروبا بناءً على طلب العثمانيّين. منذ ذلك الوقت، هبّت رياح الودّ للّقاء المسكونيّ حتّى المجمع الفاتيكانيّ الثاني وقامت بتغيير الوضع.

٣. عنوان مؤتمركم الذي ينتقل من مكانٍ إلى آخر هو تأثير الإصلاح البروتستانتيّ في الشرق الأوسط. ولكن السؤال هو بالأحرى : ماذا يمكن أن يقوله لنا الإصلاح البروتستانتيّ اليوم في الشرق الأوسط في ضوء الأطروحات التي تُعرَض منذ ٥٠٠ سنة أو نحو ذلك ؟ بدأ هذا الإصلاح بأطروحاته ال٩٥، وكذلك بروحانيّة مصلح آخر هو إغناطيوس دو لويولا، وكان القصد من هذا الإصلاح المعارضة أو الإحتجاج على التلاعب العقائديّ والأخلاقيّ للدين والرفضُ لبيروقراطيّة الكنيسة كما كان ذلك يُمارس في أوائل القرن السادس عشر حين كانت السماء تُشترى بالصكوك. كان الإصلاح اللوثريّ إصلاحًا روحيًّا في المقام الأوّل وعودة إلى الأصول وإلى روح الإنجيل في عمقه. بعد ٥٠٠ عام، في أيّامنا، يكلّمنا البابا فرنسيس، في السياق نفسه، عن مرض الزهايمر (داء النسيان) الروحيّ، حيث يستخدم عبارات أكثر مباشرة من لوثر، متعهّدًا بإدخال الهواء النقيّ إلى رئتَي الكنيسة الكاثوليكيّة، وحتّى المسيحيّة. وإذا كانت المسيحيّة تعاني مشكلة الفراغ الروحيّ، يحتلّ الإسلام مساحة من التضعضع خطير فيتقاذفه العنف ويعيش أزمة في تحديد معالمه وتفسير نصوصه، وينمّي من دون قصد تيّارًا من المتطرّفين لديه تصوّر قاتل وجامد ورجعيّ للإسلام وهدفه هو القضاء على كلّ كائن بشريّ مختلف عنه، بما فيه التاريخ وإنتاجاته الرائعة ويتحوّل إلى عقيدة سياسيّة من أجل التعبئة في رهانات من السلطة، في عصر تراجع الأيديولوجيّات التقليديّة السابقة. دعا إصلاح لوثر لخلق مساحة حريّة وحركة للكلام في قلب الكنيسة وفي هذا، هي تحثّنا اليوم، هنا في هذه المنطقة، من أجل إعطاء الأولويّة للوعي النقديّ الذاتيّ، وتعزيز التعدديّة الثقافيّة والدينيّة والإجتماعيّة وإدارتها في الحوار. أكثر من أيّ وقتٍ مضى، مع التركيز على الإيمان الذي يبرّر، يدعونا لوثر لننعتق من كبريائنا الفرديّ والجماعيّ ونفسح المجال لكلمة الله لكي نتأمّل فيها بشكلٍ أفضل ونجعلها وسيلة لملاقاة الآخر بدلاً من احتكارها والتلاعب بها لمصلحتنا الخاصّة والدنيئة.

نعم، من مصلحة منطقة الشرق الأوسط تأمّل كلمة الإصلاح من خلال الانخراط في مؤسّساته المختلفة على درب الإصلاح والتجديد !